## سنة الاملاء الالهي

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

الإملاء في اللغة هو الإمهال طويلا، وهو قول آزر لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ أي اتركني طويلا، وهو من الله تعالى إمهال العاصين الجاحدين الذين علم سبحانه انهم لا يهتدون سبيلا وطُبع على قلوبهم فيستدرجهم بما يحسبونه خيرا لهم من ملذات الدنيا بل يحسبه كثيرٌ من الناس كذلك كما في قصة قارون التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ولكن سرعان ما تنكشف الحقائق ويتبين الخسران ومن ورائهم عذاب مهين، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ



وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وعليه فالكافر يبقى في غيه وضلاله يتلذذ فيما يتخيله خيرا له إلا ان الواقع معكوس تماما فتارة يُعبر عما هو فيه بأنه زينة، وأخرى يُعبر عنه بأنه سكر يخامر العقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهذه الحالة من أخطر الحالات التي يبتلى بها الانسان فيتخيل الباطل حقا، والشر خيرا فيُستدرج في المعاصي فيصير وقوعه أكثر تأثيرا، ففي قمة لذته و نشوته يسلب منه ما تخيله خيرا ونعمة دائمة، ومن بعده عذاب مهين فتتكشف حقائق هذه التي بظاهرها نعم وخيرات ليراها الكافر وبالا ونقمة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ والاملاء اخطر ما في الامر لما فيه من نسيان



التوبة والاستغفار والرجوع الى الله تعالى، فقد ورد في الاخبار الشريفة التحذير منه فعندما يعصي العبد المعصية تلو الاخرى والنعم تتوالى عليه فقد وقع في دائرة الاستدراج، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال جل وعلا أيضا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ وروى الصدوق في العلل عن الصّادق عليه السلام: إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فأذنب ذنباً، تبعه بنقمة ويذكره الاستغفار.

وإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي، وجاء في الخبر أيضا «إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج» وبنفس المعنى روايات الكافي وغيرها في بحار المجلسي، وجاء في النهج عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، و روى عليّ بن أسباط في كتابه عن عمرو

بن إبراهيم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: يجدّد لهم النعم مع تجديد المعاصي.

والى هذا المعنى أشارت العقيلة زينب الكبرى في خطبتها بالشام في مجلس الطاغية يزيد لعنة الله عليه: ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلا مهلا أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

وعلى كل حال فالتلذذ بظاهر النعم وإطالة المدة على هذا الحال ليس هو المعيار عند الله تعالى بل جوهر الامر هو الايمان بالله



تعالى والالتزام بدينه وتسخير ما انعم به على عبادة في طاعته ومرضاته وبخلاف هذا فالأمر منعكس تماما، ولكن الناس نيام فإن ماتوا انتبهوا لأنه بالموت تتكشف الحقائق ويعرف المصير الى أين ولذا جاء في الرواية عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال: قلت له أخبرني عن الكافر الموت خير له أم الحياة؟ فقال: الموت خير للمؤمن والكافر، قلت: ولم؟ قال: لان الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة والثبات على الحق والهدى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net



مركز دار الحكمة للتنمية والدراسات الإسلامية
١٨

# سنة الاملاء الالهي

الشيخ مرتضى الساعدي